تاريخ المسيحية السريانية

بقلم هيلين مور–ڤان دن برخ

قدّمت الدكتوره هيلين مور–ڤان دن برخ سلسلة من المحاضرات في كلية اللاهوت الإنجيلية بالقاهرة في الفترة ما بين ١٦ إلى ١٩ يناير ٢٠١٩. وما يلي أول ثلاث محاضرات، والتي تم تحريرها بهدف الإيجاز والوضوح. إنها تعمل كأستاذة للمسيحية الشرقية ومديرة معهد الدراسات الشرق أوسطية في جامعة رادبود Radboud، بمدينة نايمخن Nigmegen.

مقدمة

نبدأ اليوم سلسلة تتكوّن من ست محاضرات، نناقش فيها الكنائس السريانية المبكرة. وسأبدأ بالفترة ما بين القرن الثاني، حيث ظهرت المسيحية السريانية، وصولاً إلى صعود الإسلام. وغدًا نواصل من تلك النقطة. لكن قبل أن أبدأ بالتاريخ المبكرة للكنائس، أود أن أذكر بعض الأمور حول الدراسات السريانية كمجال أكاديمي. في الماضي، استخدم غالبية الناس المدخل اللاهوتي للاقتراب من الدراسات السريانية لأن التقليد السرياني يتميز بتوافر المصادر المثيرة للاهتمام عن تاريخ الكتاب المقدس وعن المسيحية المبكرة وعن الكثير من النقاشات اللاهوتية. فالتقليد السرياني لديه الكثير في هذه المجالات. وسوف نتلمّس ذلك في المحاضرات القادمة.

الدراسات السريانية: مجالات التقاطع/ التقابل

بناءً على التقليد

- الدراسات الكتابية
- المسيحية العالمية/ اللاهوت العابر للثقافات/ اللاهوت المسكوني/ الدراسات الأرثوذكسية.
- اللغويات والفلسفة: السريانية كجزء من الدراسات السامية، حيث تلعب الآرامية دورًا حيويًا

بناءً على المجال

- التاريخ
- الدراسات الدينية/ الأنثروبولوجي
- مجالات الدراسات الموضوعات: اللاهوت/ لغة المواجهة المشتركة بين الأديان وبين الطوائف، الهوية، والقومية

الشكل (١)

جذبت أيضًا الدراسات السريانية باحثين من مجال اللغويات، خاصةً المهتمين بالآرامية. إنها لغة مهمة للغاية. فإذا ما أعددنا مقارنة للغات السامية، نجد أن الآرامية لغة ضخمة لها تاريخ بعيد ولها أيضًا العديد من

الأفرع المختلفة. لذا فالآرامية لغة حيويّة للغاية إذا أراد المرء دراسة العربية والعبرية والإثيوبية. والسريانية، كواحدة من أفضل اللغات الآرامية الموثّقة، تعتبر واحدة من اللغات المهم فهمها إذا أراد المرء دراسة علم اللغة السامية.

تعتبر دراسة اللغة السريانية والمجتمعات السريانية مهمة للمهتمين بدراسة تاريخ الشرق الأوسط، ليس فقط في مرحلة الكنيسة المبكرة، لكن أيضًا في العصر الحديث والذي نرى فيه صعود وانهيار الإمبراطورية العثمانية. وبالتالي، أصبح المؤرخون وعلماء الأنثروبولوچي، المهتمون بالشرق الأوسط، مهتمين بالدراسات السريانية. سأحاول أن أتقابل مع كل هذه الأمور لأشارك بما أراه مثيرًا للاهتمام حول الدراسات السريانية.

المحاضرة الأولى

تاريخ المسيحية السريانية المبكرة

(٢٠٠ م–٧٠٠م)

لنبدأ بالنظر إلى المسيحية السريانية كجزء من تاريخ كنائس الشرق الأوسط. بلا شك، يشعر البعض منكم بالأُلفة مع مضمون هذه المحاضرة وقد يجد البعض أن الأمر فيه بعض التكرار، لكن للبعض الآخر سيكون هذا الأمر جديد تمامًا. عندما نتحدث عن كنائس الشرق الأوسط، نقسّمها عادةً كما نراها في الشكل رقم (٢). نرى في هذا الشكل ثلاث مجموعات رئيسية: الأرثوذكسية والكاثوليكية والبروتستانتية.

المسيحية السريانية كجزء من تاريخ كنائس الشرق الأوسط

الأرثوذكسية
- ■ الأرثوذكسية الشرقية
  - القسطنطينية، أنطاكية، أورشليم، الإسكندرية
- ■ الأرثوذكسية المشرقية
  - السيريانية، الأرمينية، القبطية، الإثيوبية، الإريترية.
  - كنائس الشرق (الآشورية [النسطورية])

الكاثوليكية
- ■ الرومانية الكاثوليكية
- ■ المارونية
- ■ الكلدانية
- ■ السيريانية الكاثوليكية
- ■ الأرمينية والقبطية واليونانية الكاثوليكية
- ■ البروتستانتية
- ■ الإنجيلية/ الخمسينية/الكارزماتية

الشكل (٢)

وعادةً نقسّم الأرثوذكس إلى مجموعتين: الأرثوذكسية الشرقية وما نطلق عليه الآن الأرثوذكسية المشرقية. ولفظ **الأرثوذكسية الشرقية** يشير إلى الكنائس

المنتمية للقسطنطينية وورثة التقليد البيزنطي. هذه الطائفة لها في الشرق الأوسط ثلاثة كراسي بطريركية: أنطاكية، وهي كنيسة سورية وبلاد الشام؛ أورشليم، وهي صغيرة للغاية، لكن بالطبع، مهمة للغاية؛ والإسكندرية، لكنها كنيسة صغيرة للغاية مقارنة بالكنيسة القبطية (والتي انبثقت من كرسي البطريركية الإسكندرية). وكما نرى في الشكل ٣، لا توجد كنيسة سريانية مستقلة في تقليد الأرثوذكسية الشرقية.

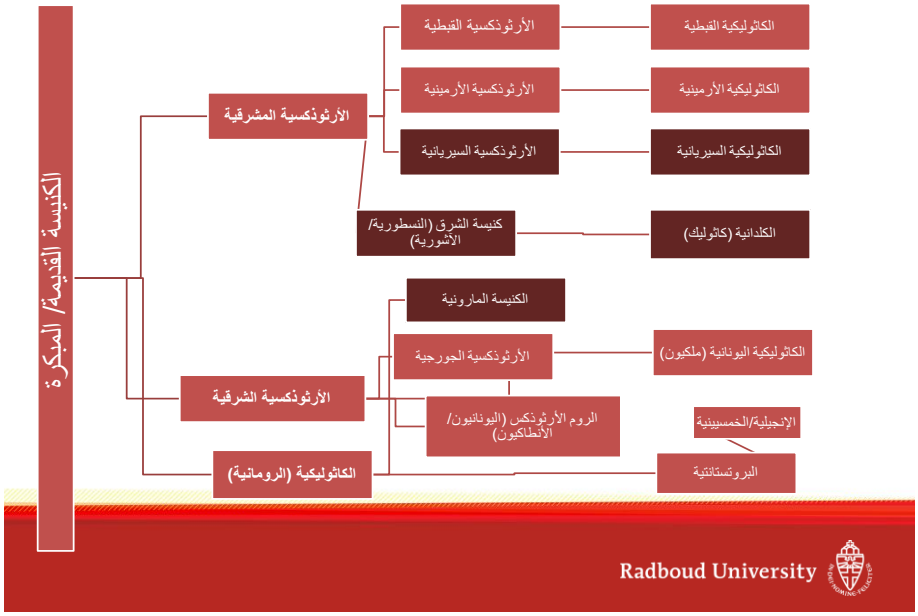

الشكل (٣)

تظهر الكنيسة السريانية بثقلها في طائفة الكنائس المشرقية، وأهمها الكنيسة الأرثوذكسية السريانية. وتشتمل هذا الطائفة على مجموعات أخرى وهي الأرمينية والقبطية والإثيوبية والإريترية. كما توجد مجموعة أخرى لا يمكن وضعها بسهولة في هذه الطائفة، ونطلق عليها الآن كنائس الشرق الآشورية، وكانت تُعرف في القديم على أنها كنائس الشرق النسطورية. وسنعود لاحقًا لدراسة هذه الكنيسة بالمزيد من التفصيل في محاضرة لاحقة.

التاريخ السرياني: التحقيب Periodization
(المحاضرات)

المحاضرة الأولى
- المسيحية المبكرة (إلى ٣٥٠ م)
- الرومانية/البيزنطية الشرقية (٣٥٠–٦٦١)

المحاضرة الثانية
- الأموية (٦٦١–٧٥٠)، العباسية (٧٥٠–١٢٥٨، المغول (١٢٥٨–١٣٨٦)
- قراقويونلو (الخرفان السود) (١٣٨٦–١٤٦٧)

المحاضرة الثالثة والرابعة
- العثمانية (١٥١٢–١٩٢٣) مع التركيز على القرن الـ١٩ حتى ١٩٢٣

المحاضرة الخامسة
- الولايات/ حقبة ما بين الحربين (١٩٢٣–١٩٤٥)، الولايات العربية المستقلة (١٩٤٥–اليوم)

المحاضرة السادسة
- المجتمعات المعاصرة العابرة للحدود

الشكل (٤)

وأخيرًا، نجد الكنيسة الكاثوليكية، ومنها الكنائس السريانية الكاثوليكية. وفي محاضرة لاحقة نلقي نظرة عليها بالمزيد من التفصيل. أما الآن، دعوني أقدم بعض الملحوظات حول تلك الكنائس. أكثرهم أهمية هي الكنيسة المارونية، حيث تتميز بروابط وثيقة مع الطائفة السريانية. أما الكلدانيون فهم الجانب الكاثوليكي لكنيسة الشرق. والكاثوليكية السريانية هي الجانب الكاثوليكي للأرثوذكسية السريانية. وبالطبع نجد مسيحيين سريانيين وسط البروتستانت – هؤلاء الذي انحدروا من الكنائس السريانية وانضموا للطائفة البروتستانتية، لكن، عدا القليل من الأماكن، ليس لديهم كنائس منفصلة. لقد قسَّمتُ نفس الكنائس في جداول أخرى، انظر الشكل ٤، لكن هنا يظهروا بحسب الترتيب التاريخي من اليسار لليمين. وهنا نبدأ بالكنيسة القديمة/ المبكرة والتي انقسمت لثلاث مجموعات تقريبًا، تلك التي تحدثنا للتو عنها. ولاحقًا، انقسمت لمجموعات متنوعة من الكنائس الجديدة: الأرثوذكسية السريانية والأرمينية والقبطية؛ كنيسة الشرق؛ المارونية وكنائس أخرى؛ ثم في مرحلة متأخرة، الكاثوليك.

في هذه المحاضرة، نقدم نظرة عامة تاريخية على الكنائس السريانية. ونبدأ بالحقبة المسيحية والبيزنطية المبكرة. وفي المحاضرة التالية، نتحدث عن الحقبة الإسلامية–الأموية والعباسية والمغول. ثم سنقضي محاضرتين في الحقبة العثمانية، حيث أن القرن التاسع عشر يعتبر شديد الأهمية لفهم تحوّل المسيحية من الأشكال القديمة نحو الشكل الذي نراه اليوم. وفي المحاضرة الخامسة، ندرس القرن العشرين في الشرق الأوسط، وفي المحاضرة الأخيرة، نلقي نظرة على هذه المجتمعات وهي تنتشر حول العالم.

حسنٌ، لنبدأ. عادةً أستخدم هذه الخريطة (شكل ٥) مع الدارسين في هولندا لأن العديد من الطلبة الأوروبيين لا يدركون على الإطلاق أن الجزء الأكبر من المسيحيين كان في الشرق الأوسط في زمن الكنيسة الأولى. ورغم أنه بقدوم القرن الثاني الميلادي أصبح هناك تواجدًا للمسيحيين فيما نعرفه الآن بأنه "أوروبا،" إلا أن الطلبة لا يعلمون أن غالبية المسيحيين كانوا في الشرق. والخريطة بالطبع ليست حصرية لأن المسيحيين تواجدوا كذلك في أثيوبيا والسودان. وبدأت المسيحية السريانية في منطقة جنوب شرق تركيا، حدود تركيا وسوريا، وما نعرفه الآن بشمال العراق وإيران.

المسيحية المبكرة: اليونانية والرومانية وغير اليونانية وغير الرومانية: داخل وفي حدود وما وراء حدود الإمبراطورية الرومانية

الشكل (٥)

الموقع الموثق لتواجد المسيحية السريانية هو مدينة الرّها (إيديسا). تُعرف إيديسا بعدد من الأسماء: أسرونيا Osrhoene وهو الاسم المستخدم في المصادر الرومانية، والرّها في اللغة العربية، وبالسيريانية أورهاي Urhay، وفي المصادر التركية "أورفا (سانلورفا)" وهو اسمها اليوم. نعلم من مدينة الرّها أن كتابة السريانية ظهرت هناك لأول مرة، إلا أنها لم تكن مسيحية بعد.

وما نراه في الشكل ٦ هو فسيفساء غير مسيحية بعد. وهي تعود لقبر سيدة غنية. نجد على اليسار الكتابة السريانية، والتي كانت تُكتب من أعلي لأسفل، خاصةً في النقوش. وما نعرفه هو أن الناس في الرّها وضواحيها استخدموا هذا النوع من الكتابة والنقش، لكن لا يوجد فيها شيء مسيحي على وجه التحديد. وبعد ذلك بفترة وجيزة، نجد المصادر السورية تقدم لنا تاريخًا عن المسيحية في ذلك المكان. وبعدها لا نعد نرى نصوصًا سريانية غير مسيحية. لذا يبدو أن هذه المجموعات تحوّلت إلى المسيحية واستخدمت تلك اللغة، والتي أصبحت لغة مكتوبة. كانت تُستخدم كلغة الكنيسة وكلغة خاصة بكل ما يتعلق بهم. وتحوّلت إلى لغة شائعة للغاية. وفي نفس الوقت، بدأ المسيحيون من المناطق المجاورة، والذين على الأرجح تحدثوا نوعًا من الآرامية المشابهة للموجودة على الفسيفساء، في استخدام السريانية كلغة الكتابة الخاصة بهم.

فسيفساء قبل المسيحية من الرّها

- كانت الرّها مكان هام للغاية للمسيحية السريانية، خاصةً بسبب وجود الإشارة الأولى للغة أو النقش السرياني (القرن الأول – غير مسيحي!)
- (السيريانية الآرامية إلى السريانية الكلاسيكية)
- أسطورة أبجر – "تعاليم أداي" (الأصول الرسولية الخ – أوائل القرن الخامس) pat of later
- خطابات، يوسابيوس، المنديل وكفن تورينو

الشكل (٦)

واحدة من أهم النصوص المبكرة التي بين أيدينا بالسيريانية، والتي تعود لأوائل القرن الخامس، هي *تعاليم أداي*، وتشتمل على ما ندعوه أسطورة أبجر. هذا النص مثير للاهتمام للغاية فيما يتعلق بالمسيحية في الرّها حيث يحاول اثبات السند الرسولي، فيشرح لنا اعتناق سكان الرّها المسيحية في القرن الأول بسبب تبادل الرسائل بين يسوع والملك أبجر. الحقيقة أنه ليس هناك دليل على أصالة هذه القصة، لكنها تشير إلى أن المسيحية لديها جذور منذ القدم في هذه المنطقة وأن الناس اعتزوا بالرواية. جدير بالذكر أن يوسابيوس مؤرخ الكنيسة في القرن الرابع يقص علينا نفس القصة، إلا أنه يسردها بشكل مختلف.

واحدة من الأمور المثيرة للاهتمام بشأن هذه الأسطورة هي أنها تشتمل إرسال تلاميذ يسوع صورةً له إلى الرّها. وبحسب هذا التقليد، توجد نسختان لهذه الصورة. الأولى صورة مرسومة (بريشة حنان، مبعوث أبجر)، والثانية طبعة لوجهه (انظر الشكل ٧). يعتقد البعض أن الأخيرة هي الحتمية حيث يستحيل رسم صورة يسوع لأنه لا يمكن لفنان أن يصوّر ملامحه. وبما أنه لا يمكن رسمه، فتم عمل انطباع لوجهه. تُعرف صورة الرّها بالمنديل المقدس (قطعة قماش أو منشفة). اقترح البعض وجود صلة بينها وبين كفن تورينو، لكن على الأرجح أنهما قصتين منفصلتين.

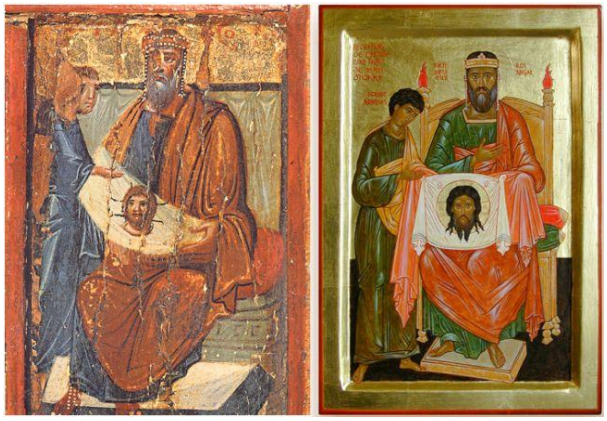

الملك أبجر يُمسك بالمنديل المقدس. على اليسار، دير القديسة كاثرين القرن العاشر؛ على اليمين نسخة معاصرة.
الشكل ٧

أحد المراكز الأخرى للمسيحية في الشرق هو حدياب/ أديابين، وعاصمتها أربيلا، (أربيل الحالية في شمال العراق). ما يظهر في أربيل أن هناك صلة منذ البداية مع اليهودية. فالعديد من المتحولين الأوائل للمسيحية كانوا يهودًا يعيشون في الإمبراطورية الرومانية. إنها قصة مثيرة للاهتمام. نعرف من أربيل، حدياب، أن العائلة المالكة اعتنقت اليهودية في أوائل القرن الأول. اعتنقت الملكة هيلينا اليهودية في القرن الأول وارتحلت إلى أورشليم، حيث دفنت وما زال قبرها موجودًا. ربما يكون هذا التواصل الفلسطيني قد فتح الطريق لتقديم المسيحية لأربيل بعد ما يقرب من ١٥٠ عام بعد موتها. والجدير بالملاحظة، أن هناك مجتمعًا سريانيًا في أربيل (عنكاوا) حتى اليوم.

الكنيسة السريانية في نصيبين من القرن السادس
- مجتمعات مزدوجة اللغة، يونانية/ آرامية في الشرق
- مراكز مسيحية مبكرة في الشرق – حدياب، الرّها، ولاحقًا "فارس" (تيسفون السلوقية)
- البناء في ثقافات لغوية هيلينية/ آرامية ويهودية محلية
- الانتشار المبكر في الهند: المسيحيون على يد توما
- جزء من الشبكة المفككة من الكنائس، ومواقف لاهوتية مختلفة

الشكل ٨

ثالث المواقع الهامة هو نصيبين، ويُعرف أيضًا باسمه اليوناني، نيسيبيس *Nisibis*. ازدهر كمركز مسيحي سرياني خاصةً في أواخر القرن الخامس والقرن السادس. وهو أحد الأماكن النادرة الذي ما زال يتواجد فيه مبنًى كنسي مبكر. فالمبنى الموجود فيه (انظر شكل ٨) يعود للقرن السادس تقريبًا. أما

سابقًا، في القرن الرابع، فقد ضمت مدينة نصيبين مدرستين طبية ولاهوتية، واللذان اضطر السريان التخلي عنهما عندما سقطوا في يد الفرس عام ٣٦٣. ولاحقًا، نُقلت المدرسة إلى الرّها. إلا أن نصيبين عادت مرة أخرى مركزًا للتعليم في نهاية القرن الخامس بعد غلق مدرسة الرّها في أعقاب المناقشات الكريستولوجية. وتقع نصيبين على الحدود بين سوريا وتركيا الحاليتين.

أكدتُ على الجانب السرياني–الآرامي في تلك الكنائس، لكن في هذه المرحلة المبكرة، كانت اللغة اليونانية ما زالت جزءًا من العالم الثقافي. لم يكن هناك تمايز كبير بين المجموعتين اللغويتين بعد، وكانت ما تزال العديد من هذه الكنائس المبكرة تستخدم اللغة اليونانية. وعلى الأرجح أن عامة الشعب كان يتحدث الآرامية، إلا أن الكهنة والرهبان كانوا يعرفون القليل من اليونانية، وظلوا على اطلاع بما يحدث في الجانب الغربي من الشرق الأوسط.

هناك مسألة مثيرة للاهتمام، متى انتشرت المسيحية السريانية في الهند؟ الإجابة أننا لا نعلم. لكننا نعلم بوجود مسيحيين يتحدثون السريانية في الهند، في وقت ما في القرن الثالث والرابع. يعرف البعض منكم قصة القديس توما الذي سافر للهند للكرازة للهنود. ومرة أخرى، يصعب اثبات هذه القصة، لكن يبدو أن هناك كنائس سريانية تأسست هناك في وقت مبكر واستمرت بشكل ما إلى يومنا هذا. كذلك ثمّة أمر آخر وجب التأكيد عليه وهو أن الكنائس السريانية امتدت عبر امبراطوريتين. ازدهرت أجزاء من الكنيسة في الإمبراطورية الرومانية، مثل الرّها، لكن أجزاء أخرى كانت في الإمبراطورية الفارسية، مثل نيسيبيس واربيل.

الكُتّاب المبكرون والنصوص المبكرة السريانية

- ترنيمة اللؤلؤة (أعمال توما)
- أناشيد سليمان (القرن الثاني؟ – ليتورچية؟ شعر)
- الدياتيسارون التاتياني (١٢٠–١٨٠)
- بردیسان (١٥٤–٢٢٢؟) – *محاورات* من بينها: *كتاب شرائع البلدان*، وترانيم

الشكل ٩

قبل أن نستكمل الحديث عن هذا التأريخ، دعونا نلقي نظرة على الشكل ٩ و١٠، واللذان يتعلقا بإنتاج مبكر من النصوص السريانية الكلاسيكية. النصوص الموجودة في الشكل ٩ تم تناقلها داخل التقليد السرياني المسيحي لكن لم يتم تصورها بالضرورة داخل ذلك التقليد. لنلقي نظرة على أول نصين، "ترنيمة اللؤلؤة" و"أناشيد سليمان." إن "ترنيمة اللؤلؤة" جزء من أعمال توما، لكن غالبية الباحثين يعتقدون أن النص أقدم من الموجود في الأعمال. وعلى الأرجح، فإن كلًا من "ترنيمة اللؤلؤة" و"أناشيد سليمان" لم تكن نصوص مسيحية من البداية، وربما تعود لأصول يهودية أو غنوسية. ثم تم ادراجها في زمن متأخر في الأدب المسيحي لأنها تناسبت للغاية داخل المسيحية السريانية.

النص التالي هو الدياتيسارون التاتياني Tatian's Diatessaron، وهو دمج الأربعة أناجيل معًا في قصة واحدة. وهو نسخة واسعة الانتشار من الإنجيل في الكنيسة الأولى، وتم ترجمتها للعديد من اللغات، وأصبحت موضوعًا في العديد من التفسيرات. وفي وقت لاحق، قررت الكنيسة أن تتوقف عن استخدام هذا النص في ليتورچيتها. واليوم، لا توجد كنيسة تستخدم هذه النسخة من رواية الإنجيل. وكتب أفرام، أحد أعظم المؤلفين في هذه الحقبة، تفسيره للدياتيسارون. وما زال نصًا هامًا للدارسين رغم استخدام الكنائس السريانية له لفترة وجيزة من الزمن.

نأتي إلى برديسان، وهو من الكتاب المبكرين للسيريانية الكلاسيكية. ويعتبر شخصية فريدة في تاريخ المسيحية السريانية، حيث كتب نصًا هامًا، *كتاب شرائع البلدان*، والذي يجمع بين نوع من الغنوسية وروحانية الأفلاطونية الحديثة مع المسيحية. لم يعد يُستخدم هذا النص فيما بعد في أي من الكنائس السريانية سواء في الليتورچية أو اللاهوت، لكنه نص مفيد للغاية عند قراءته لفهم التنوع الذي كان في المسيحية الأولى وأيضًا لاكتساب فهمٍ أشمل للفلسفة اليونانية والمسيحية في العصور المبكرة.

الكُتّاب المبكرون والنصوص المبكرة السريانية

- أفرام (نسيبيس/ الرّها، ٣٧٣): تفسير، تراتيل، عظات
- أفراهاط (٣٤٥، حدياب) "براهين"
- البشيطا: ترجمة سريانية للكتاب المقدس (قرن الثاني–القرن الخامس قرن توافق/ تجانس الأناجيل Gospel Harmony century)
- ليتورچية مبكرة: "ليتورچية أداي وماري"–حتى يومنا هذا في كنيسة الشرق.

الشكل ١٠

وفي الشكل ١٠ نجد سلسلة من النصوص ظلت جزءًا من التقليد السرياني حتى يومنا هذا. ويعتبر القديس أفرام أهم كاتب في هذه المرحلة المبكرة، وكتب أشعارًا رائعة، وما تزال الكنائس السريانية تقرأها وترتلها. وكانت العذراء مريم موضوعًا هامًا في تراتيله. وأصبحت هذه التراتيل شهيرة للغاية وتم ترجمتها لليونانية والرومانية والعربية–وللقبطية أيضًا على الأرجح. وهناك سببٌ آخر لأهمية أفرام بين العديد من الدارسين واللاهوتيين في العصر الحديث وهو تفضيله الشديد لترتيل النساء في الكنيسة. فقد أنشأ جوقات نسائية منفصلة وأعد تراتيل خاصة لهذه الجوقات؛ وحتى يومنا هذا، تساهم الجوقات النسائية في خدمات العبادة في الكنائس السريانية.

يأتي بعده أفراهاط، والذي يقل عنه في الشهرة، إلا أنه كتب تفاسير هامة للغاية للموضوعات الكتابية. وهو معروفٌ في الشرق عن الغرب، ومن المهم قراءة كتاباته لفهم المسيحية السريانية المبكرة.

أما البشيطا، وهي ترجمة سريانية للكتاب المقدس، فعلى الأرجح أن العمل عليها استمر لفترة طويلة من الزمن. لم يقم بها مترجمٌ واحد، بل قدم العديد من المترجمين مساهمات مستقلة فيها. وبعد تجميع المساهمات قُبلتْ في نهاية الأمر داخل التقليد السرياني. ويمكن أن ترى في بعض الأجزاء من العهد القديم تأثير الترجمات اليهودية للكتاب المقدس. وبما أن هذه الترجمة تسبق الانقسامات في الكنيسة السريانية، فما تزال تستخدمها جميع أفرع الكنائس السريانية إلى اليوم.

وأخيرًا، هذا العصر الذي ظهرت فيه الليتورچية السريانية وتم صياغتها في صورة مكتوبة.

الصراعات البيزنطية وصعود الكنائس السريانية

دعونا الآن نناقش التاريخ المتشابك للجدل الكريستولوچي الخاص بالقرن الخامس. عقدت الكنيسة في ذلك الوقت مجامع مسكونية بهدف حل المشكلة وتوحيد الكنائس للتوصّل إلى حلٍ لاهوتي واحد. إلا أن الناتج كان المزيد من الانقسام، لأن المجامع ساهمت في انتاج كنائس الشرق الأوسط المنفصلة والتي نعرفها اليوم.

من الجيد أن نبدأ مع نسطور (٣٨٦–٤٥١)، أسقف القسطنطينية من عام ٤٢٨ إلى ٤٣١. وبحسب طريقة تفكيره، لا ينبغي النظر إلى طبيعتي المسيح الإلهية والبشرية في اتحادهما دون ملامح تمييز بينهما. وبتطبيق هذا النهج على مريم العذراء، استنتج أنه غير مناسب الإشارة لها بلفظة "والدة الإله،" لأن هذا يوحي بأن الطبيعة الإلهية استحوذت تمامًا وابتَلَعَت طبيعة المسيح البشرية عند ولادته. وبالتالي فضّل لفظة "والدة المسيح." والطريقة التي قدم بها هذا الأمر كانت شديدة بعض الشيء. فاتّهموه بفصل الطبيعة البشرية للمسيح عن الطبيعة الإلهية. إلا أننا لا نملك الكثير من كتابات نسطور، لذا فمن الصعب التأكد مما فكّر فيه نسطور بالتحديد.

قررت الكنيسة البيزنطية عدم قبول الطريقة التي صاغ بها الأمر، لذا أُدين في مجمع أفسس الأول ٤٣١. أما مجمع أفسس الثاني ٤٤٩، فذهب لأبعد من هذا، في منح أولوية لما كان معروفًا بالموقف الميافيزي [الطبيعة الواحدة]، والذي تبنّاه بطرك الإسكندرية. ركز هذا الموقف على الاتحاد التام بين الطبيعتين البشرية والإلهية للمسيح في طبيعة بشرية–إلهية فريدة. وبعيدًا عن الإشارة لنسطور بالتحديد، وجد العديد من المسيحيين أن الموقف الميافيزي لم يكن منصفًا في التمييز المطلوب بين طبيعتي المسيح البشرية والإلهية. لذا سعى الامبراطور في

مجمع خلقدونية عام ٤٥١م إلى موقف وسطي بهدف مصالحة الموقف الميافيزي مع موقف الآخرين. إلا أن أنصار الميافيزية لم يقبلوا الصيغة النهاية لمجمع خلقدونية. وفي نهاية الأمر، لم تقبل الكنيسة المصرية وكذلك جزء من الكنائس السورية مجمع خلقدونية، وبالتالي يمكن تقفّي أثر بداية الكنائس المنقسمة وصولًا إلى منتصف القرن الخامس.

أيا صوفيا، أسسها الإمبراطور قسطنطين عام ٣٦٠ م

الشكل ١١

ويشير الهيكل الفخم لكاتدرائية البطريركية الأورثوذكسية اليونانية، أيا صوفيا، في إسطنبول (انظر شكل ١١) إلى أن الصراع لم يكن لاهوتي فحسب لكنه كان متعلقًا بالسلطة السياسية والكنسية أيضًا. كذلك كان الصراع بين الكنائس المصرية والسورية وبين الامبراطور وقادة الكنيسة في القسطنطينية يتعلق جزئيًا بمَن له الحق في صناعة القرار للكنيسة الإمبراطورية وكيف يمكن للكنائس الواقعة في الإمبراطورية البيزنطية أن تطور من نفسها.

علينا أن ننتبه لملاحظة أخيرة، وهي أن كنيسة الشرق، والتي تم اتهامها بأنها "نسطورية،" لم تكن منخرطة حقًا في هذه المناقشات نتيجة للصراعات المستمرة بين الإمبراطورية الفارسية والبيزنطية. وهذا واحد من أسباب عدم قدرتها على إرسال ممثلين عنها في مجمع خلقدونية. ورغم أن المرء يمكن أن يستنتج، بعد إدراك التجربة، أن الشكل النهائي الخلقدوني لم يكن مختلفًا كثيرًا عن الأشكال التي أنتجتها كنيسة الشرق التي اتبعت موقف نسطور، إلا أن الكنائس التي يُطلق عليها نسطورية لم تنل رد الاعتبار من الكنائس الرومانية والبيزنطية، ناهيك عن تلك التي تنتمي للتقاليد الميافيزية.

الكنائس السريانية

ساويرس الأنطاكي

الشكل ١٢

لنتحدث قليلًا عن التقليد السرياني المبكر. وأحد أشهر البطاركة في الجدل الكرستولوچي كان ساويرس الأنطاكي (٤٦٥–٥٣٨، بطرك ٥١٢–٥١٨) (انظر شكل ١٢). وعارض قرارات مجمع خلقدونية، مما صنع منه شخصية مثيرة للجدل آنذاك. كان ذائع الصيت في تلك المناطق اللاخلقدونية من سوريا، إلا أنه لم يحظَ بشعبية في المناطق

الخلقدونية. أما اليوم، فيتم تبجيله كأحد القديسين في الكنيسة الأثوذكسية المشرقية ويُنظر له كواحد من الآباء الأوائل للكنيسة الأرثوذكسية السريانية.

أيّد الامبراطور البيزنطي چستنيان (حكم ٥٢٧–٥٦٥) الكنيسة الإمبراطورية الموالية للخلقدونية، لكن زوجته الامبراطورة ثيودورا (حكمت ٥٢٧–٥٤٨) أيدت الكنائس الأرثوذكسية المصرية والسورية اللاخلقدونية (انظر شكل ١٣). وحاول الامبراطور، والذي كان مدركًا لموقف الكنائس المصرية والسورية، المحافظة على السلام قدر الإمكان.

الامبراطور چستنيان والامبراطورة ثيودورا

الشكل ١٣

أما يعقوب البرادعي، فكان أسقف الرها (٥٤٣–٥٧٨) (الشكل ١٤). وعندما بدأت كنيسة سوريا في الانفصال عن كنيسة الإمبراطورية، سافر في كل أنحاء المنطقة لرسامة رهبان وكهنة وأساقفة بهدف بناء ما يُعرَف الآن بالكنيسة الأرثوذكسية السريانية. فيعقوب السروجي (٤٥١–٥٢١) كان شاعرًا لاهوتيًا مبكرًا في الكنيسة. وكتب تراتيل في التقليد الأفرايمي، والتي ذاع صيتها للغاية حتى أنها تحظى بالتفضيل اليوم عن تراتيل أفرايم. وأدرجتها لكم في قائمة القراءات.

يعقوب البرادعي (حكم ٥٤٣–٥٧٨)

الشكل ١٤

لم يكن جميع المسيحين الناطقين بالسيريانية آنذاك منتمين للكنيسة الأرثوذكسية السريانية ولا لكنيسة الشرق. فلوقتٍ طويل من الزمن، كانت بطريركية أنطاكية، رغم أنها كانت جزءًا من الكنيسة الأرثوذكسية البيزنطية ("اليونانية")، تشتمل على الكثير من المتحدثين بالسيريانية، وكانوا يرتلون ويصلون بلغتهم أثناء العبادة. وفي الواقع، وحتى في يومنا هذا، تشتمل ليتورچية كنيسة أنطاكية على القليل من التراتيل السريانية، رغم أن غالبيتها بالعربية.

وهناك مجموعة أخرى مهمة، وهي الكنيسة المارونية. على الأرجح خرجت هذه الكنيسة من مجموعة من المسيحيين الساكنين حول المنطقة المعروفة حاليًا باسم حمص، غرب سوريا. أراد الموارنة الوصول إلى حل وسط بين

المؤيدين للخلقدونية وبين المونوفيزيين في الكنيسة الأرثوذكسية السريانية. وبالتالي، أيّدوا المونوثيليتية[1] وهي إحدى الحلول الوسط والتي أصدرها الامبراطور هرقل (٦١٠–٦٤١). وبحسب هذا الموقف، كان للمسيح إرادة واحدة كاملة فيها اندماج تام بين الطبيعتين البشرية والإلهية، متجاوزًا التميّز بينهما، كما هو مُتفق عليه في خلقدونية. إلا أن هذا الموقف لم يكن مقبولًا من الطرفين، ولاحقًا قَبِل الموارنة اللاهوت الخلقدوني.

هناك بعض الأمور المجهولة حول التاريخ المبكر للموارنة. بقدر علمنا، لم يكن الموارنة مجموعة عرقية منفصلة في القرن الرابع، بل كانوا شعب يتكون من علمانيين ورهبان يعيشون في الدير وفي المنطقة المحيطة به. لم يكن في مقاطعتهم إلا دير واحدة كبير والعديد من الأديرة الصغيرة المحيطة به. وبحسب التقليد، فإن مؤسس الكنيسة المارونية هو القديس مارون (توفي ٤١٠)–أو مار مارون–الذي عاش في جبال توروس كراهب ناسك. وبعد موته أسس تابعوه الكنيسة المارونية السريانية. فأنشأ تابعوه مجتمعًا مسيحيًا يتكون لا من رهبان فحسب بل من عائلات أيضًا تحيا في أبرشيات. وعندما ارتفعت شدة الصراع بين مؤيدي خلقدونية والأرثوذكسية السريانية، انتقل الموارنة حديثو النشأة تدريجيًا إلى جبال لبنان ليأمنوا الاضطهاد. ثم أسسوا كنيستهم. كان البطريرك الأول للكنيسة المارونية هو يوحنا مارون (٦٢٨–٧٠٧).

الرهبنة

لطالما ظلت الرهبنة من السمات الهامة والمميَّزة في الكنيسة السريانية. وكان أحد أشهر الرهبان الأرثوذكس الشرقيين هو سمعان العمودي (٣٩٠–٤٥٩)، والذي عاش لمدة ٣٧ عام فوق عمود من أطلال تيلانيسا، تلعادة اليوم بجوار حلب. ولكونه متحدثًا بالسيريانية، أصبح سمعان شخصية شهيرة بالزهد السرياني. لم يكن نمط الزهد الخاص به مجرد انسحابًا من العالم، بل كان نمطًا مهتمًا بالناس. وبحسب ثيودوريطس، والذي كان أول مَن كتب عنه، فإن الناس جاءت إلى عموده من كل الأنحاء ليستمعوا إليه وهو يعظ، أملًا أن يشفيهم. الصورة (في الشكل ١٥) تصوّره

من اليسار، أول ثلاث أيقونات خاصة بسمعان العمودي. أما التي على أقصى اليمين، فهي أطلال كنيسة القديس سمعان، بالقرب من حلب.

الشكل ١٥

وهو يستلم حقيبة من الجلد بها طعام. وفي تبنّيها للرهبانية، اشتملت الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية، والتي أُطلق عليها الكنيسة المِلكية أيضًا (من الكلمة السريانية *ألكا* "تابع للملك أو الامبراطور")، على غالبية الكنائس في الشرق.

الإمبراطورية الساسانية

بينما كانت الكنيسة تنمو وتزدهر في سوريا، توسّعت الكنيسة في الشرق مخترقةً الإمبراطورية الساسانية– آخر امبراطورية فارسية قبل صعود الإسلام. وفي عام ٤١٠، عقدت الكنيسة السنودس الخاص بها. حدث ذلك قبل خلقدونية، لذا يجب ملاحظة أن هذه الكنيسة ظهرت ككيان مستقل كمبادرة ذاتية منها، وليس ككنيسة منشقة. ومنذ عام ٤١٠ شرعوا في دعوة أسقفهم *الجاثليق*، واعتبروه في رتبة مساوية للبطاركة الخمسة في الغرب. ولاحقًا أضافوا لفظ *بطرك* إلى لفظ *جاثليق*: وبالتالي أصبح لدينا البطرك الجاثليق لقطسيفون السلوقية. وتحت حكم الفارسيين الساسانيين، تحسّنت أحوال المسيحيين بشكل عام؛ إلا أنهم مرّوا بفترات من الاضطهاد. أكثرهم أهمية كانت تلك التي حدثت قرب انعقاد مجمع خلقدونية وقت حكم الشاه يزدجرد الثاني (٤٣٨–٤٥٧). ولأن الحكام الفارسيين أرادوا التأكد من أن المسيحيين الفارسيين لن ينحازوا للامبراطورية الرومانية البيزنطية، فعلوا كل ما في استطاعتهم في فصلهم عن روما وعن تأثيرها عليهم. إلا أن المسيحيين عادةً ما تعرضوا للاتهام بالخيانة. وعندما كان السلام يسود بين الإمبراطورية الرومانية البيزنطية والامبراطورية الساسانية، كان المسيحيون ينعمون بحياة أفضل.

وفي نهاية المطاف، لم يكن لاهوت المسيحيين في الإمبراطورية الساسانية يختلف كثيرًا عن خلقدونية. فكلاهما كان لديه لاهوت ديوفيزي، والذي يؤكد على طبيعتي المسيح. ولم تؤسس كنيسة الشرق لاهوتها على نسطور بل على ثيودوروس المصيصي، والذي أصبح أستاذًا رسميًا في كنيسة الشرق على يدي البطرك باوي (٤٩٧–٥٠٢). ورغم أن باوي عيّن نسطور ليصبح أستاذًا رسميًا للكنيسة وتم تكريمه كقديس في الكنيسة، إلا أن الصياغات اللاهوتية الشائعة للكنيسة كان مصدرها ثيودوروس وباوي. وحتى يومنا، فإن كنيسة الشرق تمتنع عن تلقيب مريم بلقب "والدة الإله،" وتفضّل لقب "والدة المسيح." ورغم تركيز الكنيسة على طبيعتي المسيح، إلا أنها تشترك مع الكنائس البيزنطية والغربية في تمييز معين، فكنيسة الشرق ترى أن الطبيعة البشرية للمسيح ترتبط ارتباطًا وثيقًا جدًا مع الطبيعة الإلهية، وليست شيئًا منفصلًا عنها.

إن واحدة من أجمل أشعار كنيسة الشرق والتي تعبّر عن هذه الفكرة، هي أيضًا واحدة من أشهر تراتيلها. وفي وصفها لحياة يسوع، تختتم بعبارتين متبادلتين: "فهو إنسان حقيقي" أو "إله حقيقي." واستخدام إحداهما بالتحديد يعتمد على الحدث الذي يتم وصفه. فعندما تشير الترتيلة إلى إقامة يسوع المسيح للعازر من الموت، فتُختتم، "هو إله حقيقي." لكن عندما تخبرنا عن بكاء يسوع المسيح، تُختتم "هو إنسان حقيقي." ويحدث تبادل في الترتيلة بين هاتين العبارتين عند وصف حياة وموت وقيامة يسوع. حيث تؤكد الأبيات الشعرية على أنه بالرغم من أن المسيح إنسان وإله طوال الوقت، إلا أن هذا يعتمد على المنظور الشخصي لمَن ينظر إلى الحدث، إما أنه يرى إله أو إنسان. فهو نفس الشخص، إلا أن له جانبان two aspects. وهذا يمنحنا مثلًا، لكيفية حديث كنيسة الشرق عن طبيعتي المسيح، ليس هذا فحسب، بل أيضًا كيف كانت مثل جميع المسيحيين السريانيين، تفضل الحديث لاهوتيًا من خلال تراتيلها.

كانت المراكز اللاهوتية للكنيسة هي مدارس: نصيبين، وسوريا؛ المؤسسة عام ٤٨٩، وجندسابور، وفارس؛ المؤسسة في القرن السادس، ومركزًا في قطيسفون السلوقية، بالقرب من بابل؛ والمؤسسة في ٦٤٠–٦٥٢. وفي زمن بطريركية باوي (٤٩٧–٥٠٢)، صاغت كنيسة الشرق لاهوت ديوفيزي، خاصة عن طريق تعاليم ثيودوروس المصيصي، والتي كانت تعاليمها الرسمية. بالإضافة إلى ظهور المدارس، شهدت الكنيسة أيضًا نشأة تقليد رهباني، شبيه لظهوره في مناطق أخرى من الشرق الأوسط–في سيناء بمصر، وفلسطين وسوريا.

نقاط ختامية عن كنيسة الشرق

ختامًا، ينبغي ملاحظة أن كنيسة الشرق، مع الكنيسة الأرثوذكسية السريانية، كانت مؤثرة بالتحديد على شبه الجزيرة العربية. فعندما نفكر في نوعية المسيحية التي كانت قائمة في المنطقة التي ظهر فيها الإسلام فيما بعد، علينا أن نفكر في المسيحية السريانية قبل أي شيء آخر. إلا أنه من الصعب تحديد أيهما الأهم، أكنيسة الشرق أم الكنيسة الأرثوذكسية السريانية.

من المهم أيضًا أن نتذكر الحملة العسكرية الفارسية على فلسطين عام ٦١٤. كان هجومًا مدمرًا، عبَّأ الأديرة الفلسطينية بجثث الرهبان. وفي هذا الحدث استولى الفرس على ما كان يُعتقد أنه قطعة من الصليب المقدس، والذي امتلكه وبجّله المسيحيون في أورشليم من قبل. وبعدما هدأت آثار معركة عام ٦١٤، جرت سلسلة

طويلة من مباحثات السلام. ثم اختُتِمَت باتفاقية سلام بين الرومان والفرس، ونصّت على عودة الصليب المقدس، والذي تم استعادته في موكب قاده البطرك يشوعيهب، بطرك كنيسة الشرق. وفي الوقت الذي ساد فيه السلام تراجعت قوة الرومان والفرس، ويقال إن الملك يزدجرد الثالث، آخر ملوك الفرس، وجد ملاذًا في أحد الأديرة في أواخر أيامه، إلا أن أمر تحوله ليس موثقًا. وفي تلك الأثناء، تغير التوازن الجغرافي–السياسي في المنطقة حيث استولت عليها الجيوش الإسلامية، لتُنهي حكم الرومان والفرس.

الكنيسة السريانية في الهند

أتيت على ذكر الهند من قبل، من حيث أهميتها لكنيسة الشرق لكنها اليوم لها أهمية للكنائس السريانية الأخرى. ليس لدينا أي دليل دامغ على بداية وصول المسيحية إلى الهند. يخبرنا كتاب أعمال توما، والذي كُتب في وقتٍ ما في القرن الثالث أو الرابع، عن قصة الرسول توما مسافرًا للهند، إلا أنه يشير إلى شمال الهند وليس جنوبها. وتشير الرواية السريانية إلى وجود صلة بين الكنيسة السريانية والهند، لكن لا ينبغي التعامل معها كسجل تاريخي لتحوّل الهند. وثمّة نصٌ تاريخي أكثر موثوقية عن رحلات كوسماس في القرن السادس، والذي تشير إليه السجلات السريانية باسم *انديكوبلستس Indicopleustes*، ويعني المسافر للهند. ارتحل عبر شرق آسيا، بما فيها الهند، مُسجّلًا الممتلكات المسيحية لكنيسة الشرق. وبالتالي، يتعامل الدارسون بيقينية حول وجود كنيسة هناك آنذاك. ومنذ زمن الرومان ومرورًا بالقرن السادس وما بعد ذلك، كان هناك الكثير من التواصل بين العالم الغربي والهند. وبالتالي، فالحديث متسق مع ما نعرفه عن أزمنة رحلات الغربيين للهند. لم تكن سوى طريقتان للسفر إلى الهند، إما برًا عن طريق ما سُمّي لاحقًا طريق الحرير في الشمال، أو بحرًا عن طريق البحر الأحمر أو الخليج الفارسي وصولًا لبحر العرب في الجنوب. ولاحقًا، في القرنين الثامن والتاسع، تزداد الأدلة–مثل الأطباق النحاسية في الهند–مما يمنحنا دليل على وجود مسيحية آنذاك.

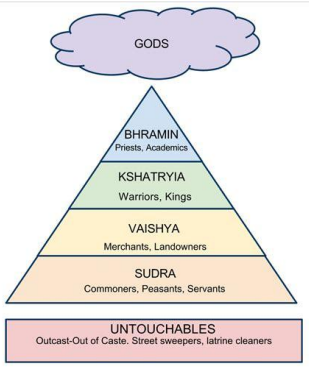

هرمية النظام الطبقي في الهند
الشكل ١٦

وثمّة إشارة أخرى على قِدَم وصول المسيحية إلى الهند وهي أنها مُدرجة في النظام الطبقي. فهذا النظام المعقد يصنّف شعب الهند في نظام اجتماعي هرمي (انظر الشكل ١٦). وفي هذا النظام، يتم

تصنيف المسيحيين السريان في مكانة مرتفعة، قريبة من البراهمة. إلا أن الوضع يختلف فيما يتعلق بالمعتنقين الجدد للمسيحية في الهند لأنهم ينتمون للطبقة الدنيا من النظام الطبقي–أي أنهم، من المنبوذين–واعتناقهم لم يغير هذا. وغالبًا ما كان المسيحيون الهنود في الأزمنة القديمة تجّارًا يعيشون على الجانبين الشرقي والغربي من شبه القارة الهندية.

بينما يتواجد غالبية أحفاد المسيحيين السريانيين الأوائل من الشرق الأوسط على الساحل الغربي، في كيرالا، نجد أثر للمسيحية القديمة على الساحل الشرقي أيضًا. ففي الشكل ١٧، وعلى الرغم من احتفاظهم بحجر بهلوي (منقوش عليه حمامة باللون الأبيض) من عصور ما قبل البرتغالية، إلا أنه أعيد بنائها بالنمط البرتغالي بعد أن استولوا على المنطقة في القرن السادس عشر. وتحول كل المسيحيين القدماء في تلك المنطقة إلى الكاثوليكية.

كنيسة كاثوليكية هندية بها نقش سرياني/ آرامي بهلوي

الشكل ١٧

ويمكن العثور على قبر القديس توما على الساحل الشرقي (انظر الشكل ١٨ و١٩). لستُ مقتنعة بأصالته، لكنه ما زال ضريحًا مقدسًا جاذبًا للزيارات. ووسط المسيحيين السريان في الهند–وأيضًا وسط العديد من المسيحيين غير السريان–ما زال توما يحظى بتقدير كبير. فهؤلاء المسيحيين السريان الهنود في العصور القديمة وحتى في العصور الحديثة، كما سنرى عند طرح الحقبة العثمانية، لعبوا دورًا هامًا في الشرق الأوسط–والعكس صحيح.

صورة حديثة للقديس توما

الشكل ١٨

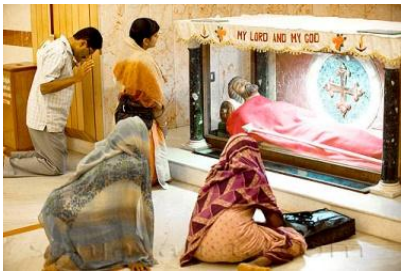

ضريح القديس توما، بالهند

الشكل ١٩

ملحق للمحاضرة الأولى

التراتيل السريانية

تعتبر "أناشيد سليمان،" والتي تحدثت عنها من قبل، واحدة من أقدم النصوص في الأدب السرياني وقد لا تكون كُتبت كنصوص مسيحية. إلا أننا سنرى أن هذا النوع من الشعر عادةً ما يستخدم في التقليد السرياني اللاحق وأن هذا النص بالتحديد أُضيف إلى تقليد التراتيل السريانية. لنلقِ نظرة على جزء من هذا النص:

أناشيد سليمان[٢]

١١ فجدّدني الربُّ بلباسه، واقتناني بنوره،

١٢ ومن العلاء أراحني (فصرت) بلا فساد. صرتُ كأرض تُزهر وترقص بثمارها.

١٣ والربّ مثل شمس على وجه الأرض،

١٤ أنار عينيَّ فتقبل الطلَّ وجهي،

١٥ وصارت نسمةُ (حياتي) عذبة برائحة الربّ العذبة.

١٦ أقتادني إلى فردوسه حيث غنى عذوبة الربّ.

تأمّلتُ أشجارًا أفرختْ وحملتْ ثمارًا،

وإكليلُها نما من نفسه،

وأغصانُها أزهرت، وثمارها شعَّت.

من أرض خالدة كانت جذورُها،

ونهرُ فرح كان يسقيها،

ويحيط بها في أرض الحياة الأبديّة.

١٧ فسجدتُ للربّ لأجل تسبحته،

[٢] الأنشودة (الموشحة) ١١: للعثور على ترجمة انجليزية، انظر James H. Charlesworth, *The Odes of Solomon* (Missoula, Montana: Scholars Press, 1977)، ومتاح أيضًا على الانترنت: http://www.earlychristianwritings.com/text/odes.html
إضافة المترجم، النص متاح بالعربية على الانترنت:
https://boulosfeghali.org/2017/frontend/web/index.php?r=site/textmobile&TextID=3875&SectionID=40&CatID=356

ثمّة أمران يظهران هنا–ويظهران بعدة طرق–في التقليد السرياني اللاحق. في العبارة الأولى (عدد ١١)، إن الطريقة التي يأتي بها الله للبشر يمكن مقارنتها برداء ونور. إذا قرأت النصوص السريانية، ترى هذه الأشكال نفسها في يسوع، والذي يتم تصويره وهو يضع رداءً على البشرية ومعه نور الله يشع منه. لكن هذا الأمر ليس الأهم فيما يتعلق بهذه الأنشودة. فسبب اختياري لها هو أننا نرى فيها كيف استخدم الكتّاب السريان الطبيعةَ لشرح طبيعة الله وصلاحه وأمور أخرى ذات صلة. وقاموا بهذا عن طريق تشبيهات من الطبيعة: الأزهار، والشمس فوق الأرض، والطل (الندى). ففي الفردوس يرى المرء أشجارًا تحمل الكثير من الثمار–وهذا موضوع عادةً يُعاد طرحه. هذا التصوير من الفردوس عادةً نجده مكررًا من الكتّاب السريان مثل أفرام، ومكرر ليس بين الكتّاب الآراميين فحسب بل بين كتّاب منطقة الشرق الأوسط بأسرها. إنها الطريقة المميَّزة التي تعبِّر بها هذه الثقافة عن أفكارها الدينية.

والآن لنلقِ نظرة على ترتيلة لأفرام السرياني:

> الراعي، الخاضع له والذي أصبح رأسًا للقطيع؛ والذي كان تلميذًا من الثلاثة، وأمسى رابع قادتنا [إبراهيم]. مبارك الله الذي جعله سببًا لراحتنا!
>
> بمحبة واحد *سأغسلهم*، *وكتاج* سوف أنسجهم، *الأزهار* المبهرة، الزهور المعطرة للأستاذ وتلاميذه، الذين ظلوا مثله مثل أليشع؛ قرن اختياره وأعلن مقدسًا ثم مات، ثم نال تمجيده وأصبح السيد [إبراهيم]. مبارك الله الذي جعله سيدًا.

يتحدث هنا عن معلم مهم للغاية، إبراهيم الذي من نصيبين. نرى في كتابات أفرام نفس نمط التشبيهات من الطبيعة التي رأيناها من قبل: الأنوار، الأشياء المشعّة، الأزهار، التاج، الزهور. هذه عينة صغيرة، لكنها تمثل كتاباته. إذا قرأت لأفرام، تجد الكثير من هذا اللون؛ وتجده أيضًا في الليتورچية السريانية.